مجلة العلوم والبحوث الإسلامية
SUST Journal of Islamic science and Research
Available at:http://scientific-journal.sustech.edu/

# جماليات الأسلوب الكنائي في الأحاديث القدسية

سوسن محمد عثمان جابر[1]- سنا محمد علي 2

**مستخلص :**

تناولت هذه الدراسة موضوعاً مهماً وهو جماليات الأسلوب الكنائي في الأحاديث القدسية، والكناية من الأساليب البيانية التي أشتهر بها العرب ولاكتها ألسنتهم وامتزجت بها سليقتهم وجرت عليها عاداتهم ، وحفل بها تراثهم اللغوي والمجتمعي ، فكانوا يكنّون عندما يريدون كيد الخصم، واستخدموها تعريضاً ، وخوفاً ، ومزحاً، وذماً ، وتلطفاً ، أو غير ذلك مما اعتادوا الكناية فيه . وجاء القرآن الكريم الذي أنزل بلسان عربي مبين مشتملاً على أروع الكنايات لأسمى الغايات ، فكانت موحية، وموجزة، ومصورة للمعاني خير تصوير، بعيدة عن كل ماينبو ويستهجن ، احتراماً للإنسان المؤمن ومخاطبته بلغة مهذبة ، وسار على نهجه الحديث النبوي الشريف ، الذي اشتمل على لطائف من الكناية حققت أغراضاً لم تكن لتتحقق باللفظ المباشر ، قاصداً من خلالها تسهيل المعنى وإيصاله إلى الناس كافة مستصحباً في ذلك ما منحه الله تعالى إياه من فصاحة اللسان وبلاغة البيان وحسن التصرف في الكلام . وتهدف الدراسة إلى إظهار جماليات الأسلوب الكنائي في الأحاديث القدسية من خلال شرحها والوقوف على مواضع الكناية فيها . وقد اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي . وكان من نتائج هذه الدراسة أن الكناية تعطي ظلالاً لطيفة للمعنى وتظهره في صورة حسية ملموسة مع إيجاز العبارة، هذا فضلاً عن أنها أبلغ من التصريح ؛ فهي تعطي الدعوى ودليلها، والقضية وبرهانها.

**ABSTRACT:**

This study deals with an important topic ; Aesthetics of Metonymy Style in HOLY HADITH. Metonymy is one of the rhetorical methods that became famous by the Arabs ; they used it in their speech and habits, their linguistic and Community heritage became rich by it. For instance; in provoking their enemies, in periphrasis, In fear, In jest, to speak gently, or something else that are accustomed to use the metonymy on it. The Holy Quran, which is in pronounced Arabic tongue, is including the Finest metaphors for the Top goals which is explaining the proper meaning suggestively ,briefly and addresses individuals politely. Also Hadith includes fine metaphors which has achieved purposes that have not achieved by direct word. In Hadith uses metonymy to simplify the meaning for all people .The study aims to display the aesthetics of Metonymy Style in HOLY HADITH through explaining metonymy of it. It depends on descriptive analytical method. One of the results of this study is that metonymy gives meaning nice taste and show it briefly in sensual concrete image , As well as it is more eloquent than openness; it gives the case and its proof and claim and its evidence.

**الكلمات المفتاحية:**

الإشارة – الصفة – التلويح

1- كلية العلوم- جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا - 2-قسم اللغة العربية- كلية اللغات - جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

**المقدمة :**

جاء أسلوب الكناية في الأحاديث القدسية – كغيره من الأساليب البيانية التي استخدمها النبي صلى الله عليه وسلم– في تعليم أمته أصول الدعوة والدين الذي بعث لأجله ، بطرق بيانية تتقبلها العقول وترتاح لها النفوس وببيان مؤيد من الله سبحانه وتعالى ، سما على كل أساليب العرب . فخرج أسلوب الكناية في الأحاديث القدسية سهلاً، سلساً، وبعبارات موجزة ومختصرة ، مع روعة التصوير ودقة الوصف ، وإطفاء الروح على المعاني العقلية وتجسيدها، فكانت آكد وأرسخ في الذهن، وحققت الأغراض والمقاصد الدينية والبلاغية معاً.

**أهمية الدراسة :**

تتلخص أهمية الدراسة في أنها تلقي الضوء على أسلوبرائع من الأساليب البيانية ، ألا وهو أسلوب الكناية، من خلال ورودها في الأحاديث القدسية التي يرويها النبي صلى الله عليه وسلم عن الله سبحانه وتعالى، ومعرفة مدى تأثيرها في توضيح وتقريب المعنى، وإظهار جوانب البلاغة والجمال فيها .

**أهداف البحث :**

1- التعرف على أسلوب الكناية وإبراز قيمتها البلاغية.

2- إظهار جماليات الأسلوب الكنائي في الأحاديث القدسية من خلال شرحها والوقوف على مواضع الكناية فيها.

3- التعرف على الأحاديث القدسية وموضوعاتها .

**الدراسات السابقة :**

1- الاختراع في الكنايات النبوية وأثره في كلام العرب– إعداد طالب الدكتوراة مصعب حمود– دراسة منشورة في مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية – العدد الأول– المجلد26– 2010م

2- صور الكناية في الكلام النبوي الشريف– تأليف:حجت رسولي ، وعلي أكبر نور سيده– دراسة منشورة في مجلة إضاءات نقدية (فصلية محكمة)– السنة الثالثة– العدد التاسع – 2013م.

قبل الدخول في الدراسة التطبيقية لأسلوب الكناية في الأحاديث القدسية ينبغي الوقوف على تعريف الكناية ومعرفة أقسامها:

**أولاً : تعريف الكناية**

**الكنايةُ لغةً:** الكناية أن تتكلَّم بشيء وتريد غيره ، وكَنَى عن الأمر بغيره يَكني كِناية، يعني أن تتكلم بغيره مما يستدل به عليه ، نحو الرفث ، والغائط ونحوه[1].

**واصطلاحاً:**الكناية في الاصطلاح هي: " أن تطلق اللفظ وتريد لازم معناه مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الحقيقي" [2]وبهذا فالكناية لا بد لها من أركانثلاثة :

1- اللفظ المكنى به 2- المعنى المكنى عنه

3- القرينة التي تجعل المعنى الحقيقي غير مراد سواء كانت هذه الإرادة ممكنة أم غير ممكنة[3].

**ثانياً : أقسام الكناية**

**1/** تنقسم الكناية من حيث الشيء المدلول عليه [المكنى عنه] إلى ثلاثة أقسام :

**أولًا : المطلوب بها صفة :**

وهي الكناية التي يُراد بها صفة من الصفات المعنوية كالجود والشجاعة ، والسؤدد ، والنُبْل ...الخ . والكيفية التي يأتي عليها هذا الضرب من الكلام هو أن يذكر المتكلّم موصوفاً وينسب إليه صفة غير مرادة في ذاتها،

---

([1]) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (2009م)، لسان العرب( مادة كني)، مج 15، ط2، دار الكتب العلمية ، بيروت، ص270.

([2]) د.فضل حسن عباس (2005م)، البلاغة فنونها وأفنانها (علم البيان والبديع) ، ط10، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، الأردن، ص247

([3])المرجع السابق نفسه، ص247

ولكن يُستدلُ منها على صفة أخرى هي التي يريدها المتكلِّم . وهي ضربان :

**أ/ الكناية القريبة :**

وهي التي ينتقل ذهن المتلقي فيها من المعنى الوضعي إلى المعنى المراد مباشرةً دون وسيط ، وسميت قريبة لقِصَر زمن إدراك المراد منها بسبب انتفاء الوسائط . وتأتي الكناية القريبة على إحدى حالتين:

**الأولى :** واضحة يسهل انتقال الذهن منها إلى المراد بها كقولك (عنترة طويل النجاد) والنِّجاد هو حمائل السيف، فالمتكلِّم ذكر موصوفاً وهو (عنترة) ثم نسب إليه صفة هي (طول النجاد). ولكن هذه الصفة غير مرادة في ذاتها، بل المراد صفة أخرى تتوارى خلفها، وهي (طول القامة) فإن طول النجاد يستلزم طول القامة. وكذلك نحو قولهم: (سُعْدَى نؤوم الضحى)، فالمتكلِّم هنا أتى بموصوف وهو (سُعدى) ونسب إليها صفة أخرى هي التي يريدها المتكلِّم، وهو الترفة والتنعم .

**الثانية:** خفية : لا ينتقل الذهن منها إلى المراد بها إلا مع شيء من التأمل والتفكُّر ، كقول العرب : (فلان عريضاً القفا) كناية عن أنه (أبْلَه) ، فإن عرض القفا على نحو مفرط مَعْلَمُ بلاهة في الذهنية العربية . فالمتكلِّم ذكر موصوفاً (فلان) ثم نسب إليه صفة هي (عُرض القفا). وهي صفة غير مرادة، بل المراد لازمها وهو البلاهة . وانتقال الذهن من عرض القفا إلى البلاهة لا يحصل إلا مع شيء من التأمل، لأن فيه نوع خفاء .

**ب/الكناية البعيدة:** ما ينتقل الذهن فيها من المعنى الأصلي إلى المعنى المُراد بوسيط أو عدة وسائط . وسُميت بعيدة لبعد زمن إدراك لمُراد منها ، كما في قولهم: "فلان كثير الرماد" كناية عن أنه جواد، فالمتكلم ذكر موصوفاً وهو (فلان) ونسب إليه صفة هي (كثرة الرماد) ولكن هذه الصفة غير مرادة ، بل المراد لازمها وهو (الجود) ولا ينتقل الذهن من كثرة الرماد إلى صفة الجود دون المرور بهذه الوسائط وهي : (من كثرة إحراق الحطب، إلى كثرة الطبخ، ثم إلى كثرة الأكلة، ومنها إلى كثرة الضيفان، ومنها إلى صفة الجود)[4].

**والثانية: وهي المطلوب بها موصوف :**

ضابطها :أن يصرح بالصفة وبالنسبة، ولا يصرح بالموصوف المطلوب النسبة إليه، ولكن يذكر مكانه صفة، أو أوصاف تختص به كما في قولك: "فلان صفا لي مجمع لبه "كناية عن قلبه؛ فقد صرح في هذه الكناية بالصفة، وهي "مجمع اللب"، وصرح بالنسبة، وهي إسناد الصفاء إليها، ولم يصرح بالموصوف المطلوب نسبة الصفاء إليه، وهو "القلب"، ولكن ذكر مكانه وصف خاص به وهو "كونه مجمع اللب"، فإن القلب – كما يقولون– موضع العقل والتفكير. وهذه الكناية أيضا نوعان:

أ– ما يكون الكناية فيه معنى واحداً كما في المثال السابق: فلان صفا لي مجمع لبه؛ فمجمع اللب المكنى به عن القلب معنى واحد .

وكما في قول الشاعر:

**الضاربِينَ بكُلِّ أبيضَ مُخْذَمٍ**[5]

**والطاعنينَ مجــامعَ الأَضْغَانِ**[6]

يصف الشاعر قومه بالبسالة، وحسن البلاء في الحروب، وأن سيوفهم لا تعرف غير المقاتل جفونا، فكنى بمجامع الأضغان– وهو معنى واحد – عن القلوب. والمراد بوحدة المعنى ألا يكون من أجناس مختلفة، وإن كان مثنى أو جمعا ، فمجامع الأضغان في قول الشاعر

---

([4]) عيسى العاكوب (2000م ) المفَصَّل في عُلوم البلاغة العربيــة (المعاني –البيان– البديع) ، د.ط،،مديريــة الكتــب والمطبوعــات الجامعية، حلب ، ص537، 538، 539.

([5]) الأبيض: السيف، والمخذم : القاطع

([6]) الزُّبَيْدي، عَمْرو بن مَعْدي كربَ (1985)، ديوان شعر ، جمعه ونسقه: مطاع الطرابيشي ، ط2، مطبوعات مجمع اللغــة العربيــة بدمشق ، ص 174.

السابق –وإن كان جمعا– هو معنى واحد من حيث إن مدلوله جنس واحد هو "القلوب" لا أجناس مختلفة.

ب– ما تكون الكناية فيه مجموع معانٍ مختلفة ، كما يقال في الكناية عن الإنسان: زارني حي، مستوي القامة، عريض الأظفار، فالكناية مجموع هذه المعاني من الحياة، واستواء القامة، وعرض الأظفار، لا كل واحد منها، وهذه المعاني مجتمعة وصف خاص بالإنسان، لا يوجد في سواه.

**والثالثة : وهي المطلوب بها نسبة:**

وضابطها: أن يُصَرَّح بالموصوف والصفة، ولا يصرح بالنسبة بينهما، ولكن يذكر مكانها نسبة أخرى تستلزمها، وهذه النسبة إما أن تكون إثباتاً أو نفياً [7].

مثالها قول الشاعر :

**إنَّ السَّمَاحَةَ وَالمُروءَةَ وَالنَّدَى**
**فِي قُبَّةٍ ضُرِبَتْ عَلَى ابن الحَشْرَجِ**[8].

فالشاعر" أراد أن يثبت هذه المعاني والأوصاف خِلَالاً للممدوح وضرائب فيه ، فترك أن يصرح فيقول: " إن السماحة والمروءة والندى لمجموعة في ابن الحشرج، أو مقصورة عليه، أو مختصة به " وما شاكل ذلك مما هو صريح في إثبات الأوصاف للمذكورين بها ، وعدل إلى ما ترى من الكناية والتلويح، فجعل كونها في القبة المضروبة عليه عبارة عن كونها فيه وإشارة إليه فخرج كلامه بذلك إلى ما خرج إليه من الجزالة وظهر فيه ما أنت ترى من الفَخَامة ولو أنه أسْقَط هذه الواسطة من البَيْن لما كان إلا كلاماً غُفْلاً، وحديثا سَاذَجاً"[9].

إذن فقد صرَّح في هذه الكناية بالموصوف وهو(ابن الحشرج) ، كما صرَّح أيضاً بالصفة، وهي ثلاث صفات (السماحة، والمروءة، والندى) ، ولم يصرح بنسبة هذه الصفات إلى الممدوح مباشرة ، بل نسبها إلى مَكَانهِ وهو القبَّةُ المضروبة عليه، ونسبة هذه الصِّفات إلى القبَّة تستلزم نسبتها إلى الممدوح . والنسبة المذكورة هنا في الإثبات.

ومثالها في النفي قول الشنفرى[10]. يصف امرأة بالعفة والنزاهة:

**يَبيتُ بِمَنْجَاةٍ من اللّوْمِ بَيْتُها**
**إذا ما بُيُـوتٌ بالملامةِ حُلَّتِ**[11]

فقد صرَّح بالموصوف، وهو الضمير في "بيتها" العائد على المرأة، وصرح بالصفة، وهي اللوم المنفي في قوله: "بمنجاة من اللوم" ولم يصرح بنسبة نفي اللوم عنها، ولكن ذكر مكانها نسبة أخرى هي نفي اللوم عن بيت يحتويها، وذلك يستلزم نفي اللوم عنها[12].

---

([7]) حامد عوني (د.ت) ،المنهاج الواضح للبلاغة ،د.ط، المكتبة الأزهرية للتراث ، ج1، ص152، 153

([8])ورد البيت في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، شرحه وكتب هوامشه: سمير جابر ،وعبد الله علي مهنا ،منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط4، 1422ه–2002م، مج 12 ، ص28. ، ودلائل الإعجاز ، للإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ، قرأه وعلّق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر ،ص306، والبيت منسوب للشاعر زياد الأعجم .

([9]) دلائل الإعجاز ،مرجع سابق، ص306، 307

([10])هو عمرو بن مالك الأزدي (... – نحو 100 ق.ه = ... – نحو 525م) ، من قحطان ، شاعر جاهلي، يماني ، من فحول الطبقة الثانية. كان من فتاك العرب وعدّائيهم. وهو أحد الخلعاء الذين تبرأت منهم عشائرهم. قتله بنو سلامان. وقيست قفزاته ليلة مقتله، فكانت الواحدة منها قريبا من عشرين خطوة.وهو صاحب لامية العرب.الزركلي، خير الدين (2002م) الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج5، ط15، دار العلم للملايين ، بيروت–لبنان، ص85

([11]) الشنفرى (1996م) ، ديوان ، جمعه وحققه وشرحه:د.اميل بديع يعقوب، ط2،دار الكتاب العربي، بيروت، ص32 . وفي الديوان(تَحُلُّ بمنجاة) ، ووردت (المذمة) بدل (الملامة)

([12]) المنهاج الواضح للبلاغة ، ج1،مرجع سابق ، ص153

وقد ذكر القزويني أن طرف النسبة المثبتة بطريق الكناية يجوز أن يكون مكنياً عنه أيضاً، فيكون في البيت كنايتان : حلول البيت بمنجاة من اللوم كناية عن نسبة العفة إلى صاحبه ، والمنجاة من اللوم كناية عن العفة[13].

**2/ تقسيم الكناية باعتبار الوسائط:**

سمى السكاكي بعض أنواع الكناية بأسماء تختلف باختلاف الاعتبارات، فهي تتنوع عنده إلى أربعة أنواع: تعريض، وتلويح، ورمز، وإيماء أو إشارة.

أ- **التعريض** (أو الكناية العُرْضِيَّة): التعريض لغة : خلاف التصريح[14]. واصطلاحاً: اطلاق الكلام والإشارة به إلى معنى آخر يُفهم من السياق ، نحو قول النبي صلى الله عليه وسلم: (المُسلِمُ مَن سَلَمَ المُسلِمُونَ من لسانِهِ ويَدِهِ)[15].فالمعنى الصريح للحديث حصر الإسلام فيمن لا يؤذي، ويلزم منه نفي الإسلام عن كل مؤذٍ، ومن بين هذا الكل مخاطبك[16]. والمعنى الكنائي هنا مفهوم من سياق الكلام.

ب- **التلويح:** كناية كثرت فيها الوسائط بيْنَ المكنَّى به والمكنَّى عنه ، ويرى أن من المناسب أن تسمَّى هذه الكناية تلويحاً لأنّ التلويح في اللغة: أن تشير إلى غيرك عن بُعْد . ومثال التلويح أن يقال : (فلان كثير الرماد) كناية عن كون الرجل جواداً مضيافاً. وبين كثرة الرماد وصفة الجود – كما ذكر سابقاً– وسائط عدة.

ج- **الرّمْز:** كناية قلَّت فيها أو انعدمت الوسائط بين المكنّى به والمكنّى عنه، إلاَّ أنَّ فيها نوعَ خفاء، مثل الكناية عن الغباء والبلادة بعبارة "عريض القفا "أو عبارة "عريض الوساد." وتُسَمَّى رمْزاً لأنّ الرمز أن تشير إلى قريب منك على سبيل الْخُفْيَة .

د- **الإيماء أو الإشارة:** كناية قلَّت فيها الوسائط بين المكنَّى به والمكنَّى عنه أو لم تكن ، وليس فيها خفاء. كقول البحتري :

**أَوَ مَا رَأَيْتَ الْمَجْدَ أَلْقَى رَحْلَه**
**فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لم يَتحوَّلِ**[17]

كناية عن كونهم أماجدًا[18].

المعنى: أراد أن المجدَ أقام في خيام آل طلحة، ولم يرحل عنها، فكنى بإثبات المجد لخيام آل طلحة عن إثبات المجد لهم ؛ ذلك أن المجد صفة ، أي معنى قائم بغيره، والخيام لا تصلح محلاً لها واللزوم واضح[19].

**ثالثاً : بلاغةُ الكِنايةِ**

الكنايةُ مَظهرٌ من مظاهر البلاغةِ، وغايةٌ لا يصل إليها إلّا من لطف طبعُه، وصفتْ قريحتُه، والسرُّ في بلاغتها أنّها في صور كثيرةٍ تُعطيك الحقيقةَ، مصحوبةً بدليلها، والقضيةَ وفي طيِّها بُرْهانُها، كقول البحتري في المديح:

**يَغُضُّونَ فَضْلَ اللَّحْظِ مِن حَيْثُ ما بدا**
**لَهُمْ عَنْ مَهيبٍ، في الصُّـــدورِ، مُحبَّبِ**[20]

فإنّه كَنَى عن إكبار الناس للممدوحِ، وهيبتِهم إيّاه، بغضِّ الأبصارِ الّذي هو في الحقيقة برهانٌ على الهيبة

---

(13) القَزويني ،جـلال الـدين محمـد بـن عبـد الـرحمن بـن عمر(2003م)، الإيضاح في عُلُوم البلاغة المعاني والبيان والبـديع ،وضع حواشيه:إبراهيم شمس الدين ، ط1، منشورات محمد علـي بيضون ،دار الكتب العلمية ،بيروت،لبنان، ص248

(14) لسان العرب ، مادة (عرض) ،مج7،مرجع سابق ،ص،206

(15) البخاري ، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل (1998م) ، صحيح البخاري ، اعتنى به : أبو صهيب الكرمي ، كتاب لإيمـان، بـاب المُسلِمُ مَن سَلَمَ المُسلِمُونَ .. ،حديث رقم 10 ، د.ط ، بيت الأفكـار الدولية للنشر والتوزيع ، الرياض ، ص26

(16) المفَصَّل في عُلوم البلاغة العربية ، مرجع سابق ، ص545

(17) البحتري (2005م) ، ديوان ، شرحه وعلّـق عليـه د.محمـد التونجي ، ج2، د.ط، دار الكتاب العربـي ، بيـروت–لبنـان، ، ص991

(18) السكاكي ،أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمـد بـن علـي (1987م) ، مفتاح العلوم ،ضبطه وكتب هوامشه وعلّق عليه: نعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان ، ص 411، 412

(19)المفَصَّل في عُلوم البلاغة العربية ، مرجع سابق، ص545

(20)ديوان البحتري، مرجع سابق ،ج1 ،ص151

والإجلالِ، وتظهرُ هذه الخاصّةُ جليّةً في الكناياتِ عن الصفةِ والنسبةِ.

ومن أسباب بلاغةِ الكنايات أنّها تضعُ لكَ المعاني في صورة المحسوساتِ، ولا شكَّ أنّ هذه خاصّةُ الفنون، فإنَّ المصوّرَ إذا رسم لك صورةً للأملِ أو لليأسِ، بهرَكَ وجعلكَ ترى ما كنتَ تعجزُ عن التعبير عنه واضحاً ملموساً، فمثلُ كثيرِ الرمادِ في الكناية عن الكرمِ، ورسول الشرِّ، في الكنايةِ عن المزاحِ. وكقول البحتري:

**أَوَ مَا رَأَيْتَ الْمَجْدَ أَلْقَى رَحْلَه**

**فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لم يَتحوَّلِ**[21]

وذلك في الكناية عن نسبة الشرف إلى آل طلحة.

ومن خواصِّ الكنايةِ :أنّها تُمكّنُك منْ أنْ تَشْفِيَ غلَّتَك منْ خصمِك منْ غيرِ أنْ تجعلَ له إليك سبيلاً، ودون أنْ تخدشَ وجهَ الأدب، وهذا النوعُ يُسمَّى بالتعريضِ[22]، ومثالُه قول النبي صلى الله عليه وسلم: المُسلِمُ مَن سَلَمَ المُسلِمُونَ من لسانِهِ ويَدِهِ)[23].

ومن مميزات الكناية أيضاً التعبير عن القبيح بما تسيغ الآذان سماعه، وأمثلة ذلك كثيرة جداً في القرآن الكريم، وكلام العرب فقد كانوا لا يعبرون عما لا يحسن ذكره الا بالكتابة، وكانوا لشدة نخوتهم يكنون عن المرأة (بالبيضة – والشاة) ومن بدائع الكنايات قول بعض العرب.

**ألا يا نَخْلَةً مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ**

**عَلَيْكِ ورَحْمَةُ اللهِ السَّلَامُ**[24]

فإنه كنى بالنخلة، عن المرأة التي يحبها[25].

**رابعاً : التطبيق على نماذج الكناية في الأحاديث القدسية :**

قبل الدخول في التطبيق لا بد من تعريف الحديث القدسي:

**الحديث القدسي لغةً :**

**لغةً** : القُدْسُ : تنزيهُ الله ، وهو القُدُّوس والمُقدَّس (المُتقدِّس)[26].

التَّقْدِيسُ : تنزيه الله عز وجلّ . القُدُّوس: من صفات الله تعالى، وهو الطاهر المنزَّه عن العيوب والنقائص. التَّقدِيس: التَّطهير والتَّبريك ، وتَقَدَّس : أي تطهر[27].

مما تقدَّم، كلمة (قُدْس) في كل المعاجم تدور حول معنى تنزيه الله عز وجل عن العيوب ، ومعنى التبريك والتطهير، إضافة إلى أن (القُدُّوس) اسم من أسماء الله تعالى.

**اصطلاحاً:** هو ما كان لفظه من عند الرسول صلى الله عليه وسلم ومعناه من عند الله بالإلهام أو بالمنام [28].

يُتوصل من هذا التعريف إلى أن الحديث القدسي هو ما يضيفه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى، أي أن النبي يرويه على أنه من كلام الله ، فالرسول راوٍ لكلام الله بلفظٍ من عنده ، وإذا رواه أحد عن رسول الله مسنداً إلى الله عز وجل يقول: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل. أو يقول: قال رسول

---

(21)تم توثيقه

(22) الهاشمي، السيد أحمد (د.ت)، جواهر البلاغة، ضبط وتدقيق وتوثيق :د. يوسف الصميلي ، د.ط، ،المكتبة العصرية ،بيروت، ص 293

(23) تم تخريجه

(24)ورد البيت بلا نسبة عند : البغدادي، عبد القادر بن عمر (1997م)، خزانة الأدب ولبّ لُباب لسان العرب،تحقيق وشرح :عبد السلام محمد هارون،ط4، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ج1،ص393

(25) جواهر البلاغة ، مرجع سابق ، ص 294

(26) الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (1982م) ، كتاب العين، تحقيق :د. مهدي مخزومي – ود.إبراهيم السامرائي، د.ط،دار الرشيد للنشر، العراق، (باب القاف والسين والدال)ج5، ص73

(27)لسان العرب ، مادة (قدس) ، مج6،مرجع سابق، ص 203

(28) الكفَوي ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحُسيني (1998م)، الكليات ( معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) ، أعده للطبع ووضع فهارسه:د.عدنان درويش – ومحمد المصري، ط2،مؤسسة الرسالة ، بيروت–لبنان ،(فصل القاف) ، ص722

الله صلى الله عليه وسلم : قال الله تعالى – أو يقول الله تعالى[29] .

هذا ومعظم الأحاديث القدسية تتعلَّق بموضوعات الخوف والرجاء، وكلام الرب جل وعلا مع مخلوقاته.

ومن خلال دراسة أسلوب الكناية في بعض الأحاديث القدسية،وقف الباحث على بعض الكنايات ليبيِّن أوجه الحسن فيها ، مستعيناً بكتب شُرَّاح الحديث في شرح الحديث أولاً ثم بيان موضع الكناية فيه .

وبقراءة سريعة للكناية في الأحاديث القدسية لوحظ أن كثير منها كانت تعبر عن مقادير الأشياء وأوزانها، وعن السرعة والمسافة والبعد والقرب ، وليس الغرض منها القياس أو الوزن الحقيقي الذي وردت في سياقه، وإنما جاءت لتوضيح وتقريب الفهم ؛ لأن هنالك أمور غيبية كثيرة تعجز مخيلة الإنسان المحدودة– والتي لا تتعدى الأشياء المرئية التي شاهدها في الدنيا– إدراكهاوتخيلها، ومع ذلك يظل تصوُّر الإنسان لهذه الأمور الغيبية قاصراً، وقد لا يمت لحقيقتها بصلة.

**أمثلة لذلك :**

1/ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :(يَدخُلُ أهلُ الجنةِ الجنةَ وأهلُ النارِ النارَ، ثم يقولُ اللهُ تعالى :أخرِجوا مَن كان في قلبِه مِثقالُ حبةٍ من خَردَلٍ من إيمانٍ، فيَخرُجونَ منها قد اسودُّوا، فيُلقَونَ في نهرِ الحَيا، أو الحياةِ – شكَّ مالكٌ – فيَنبُتونَ كما تَنبُتُ الحِبَّةُ في جانبِ السيلِ، ألم ترَ أنها تخرُجُ صفراءَ مُلتَوِيَةً)[30].

يُلاحظ أن الحديث يعرض موقفاً من مواقف يوم القيامة.

وفي قوله : (مِثقالُ حَبَّةٍ)بفتح الحاء هو إشارة إلى ما لا أقل منه، قال الخطابي: هو مَثَلٌ ليكون عياراً في المعرفة لا في الوزن؛ لأن ما يشكل في المعقول يرد إلى المحسوس ليفهم، وقيل المراد بحبة الخردل هنا ما زاد من الأعمال على أصل التوحيد[31].

الكناية في قوله( مِثقالُ حبَّةٍ من خَردَلٍ) كناية عن صفة (صِغر الشيء)، وقد عبَّر عنها بصورة حسية معروفة مبالغة في الإيضاح وتقريباً للفهم . وفيها إيماء وإشارة لوضوحها وانعدام وسائطها.

2/ عن أبي زرعة سمع أبا هريرة رضي الله عنه قال:سمعت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول:(قال اللهُ عزَّ وجلَّ : ومن أظلم ممن ذهبَ يخلقُ كخَلْقي، فلْيَخْلُقوا ذرَّةً، أو : لِيخْلُقوا حبَّةً ، أو شعيرةً)[32].

الحديث يتحدَّث عن حكم صنعة التصوير والعذاب المتوعد به لصانعها. ومعنى قوله: (ومن أظلم ممن ذهبَ يخلقُ كخَلْقي؟) الاستفهام إنكاري، بمعنى النفي، أي لا أحد أظلم. (وذهب) بمعنى قصد، والتشبيه في (كخلقي) في فعل الصورة وحدها لا من كل الوجوه، فإن الذي خلقه سبحانه وتعالى واخترعه ليس صورة في حائط ، بل هو خلق تام .(فلْيَخْلُقوا ذرَّةً): المراد إيجاد الذرَّة – أي النملة– حقيقة لا تصويرها .(أو لِيخْلُقوا حبَّةً): المراد من الحبة هنا حبة القمح، بقرينة ذكر (الشعيرة بعدها) أو الحبة أعم من حبة القمح ، والغرض تعجيزهم ، تارة بتكليفهم خلق حيوان (ذرَّة) وهو أشد ، وأخرى بتكليفهم

---

([29])مناع القطان (د.ت) ، مباحث في علوم القرآن، ط6 ، مكتبة وهبة ، القاهرة، ص20

([30])صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب تفاضل أهلِ الإيمان في الأعمال ، حديث رقم 22 ،مرجع سابق، ص27–28

([31]) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر(2005م) ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، وعليه تعليقات مهمة للعلامة الشيخ : عبد الرحمن بن ناصر البرّاك ، اعتنى به : أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي ،مج1،ط1، دار طيبة، الرياض،ص138 ، 139 . كتاب الايمان–باب تفاضل أهل الايمان في الأعمال.

([32]) صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى (والله خلقكم وما تعملون) ، حديث رقم 7559 ، مرجع سابق، ص1444

خلق جماد وهو أهون ، ومع ذلك لا قدرة لهم على ذلك"[33].

ولا شك أن حرمة التَّصوير جاءت لِما فيه من محاولة مضاهاة خلق الله –عزَّ وجلَّ– الذي تفرَّد بالخلق .وموضع شاهد الكناية هنا في قوله تعالى: (فلْيَخلُقوا ذرَّةً، أو : لِيخلُقوا حبَّةً ، أو شعيرةً)، (فالذرة والحبة والشعيرة) كناية عن (صغر الشيء). وفيها إيماء وإشارة لوضوحها وقلة وسائطها.

3/.. حدثنا مُحلُّ بنُ خليفة الطائي قال : سمعتُ عدي بن حاتم يقول: كنتُ عندَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فجاءَهُ رجلانِ ، أحدهما يشكو العَيْلَةَ ، والآخرُ يشكو قَطْعَ السبيلِ ، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: (أمَّا قَطْعُ السبيلِ :فإنَّهُ لا يأتي عليكَ إلا قليلٌ ، حتى تخرجَ العيرُ إلى مكةَ بغيرِ خَفيرٍ ، وأمَّا العَيْلَةُ : فإنَّ الساعةَ لا تقومُ ، حتى يطوفَ أحدكم بصدقتِهِ ، لا يجدُ من يَقْبَلَهَا منهُ ، ثم لَيَقِفَنَّ أحدكم بينَ يَدَيْ اللهِ ، ليسَ بينَهُ وبينَهُ حجابٌ ، ولا تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لهُ ، ثم ليقولَنَّ لهُ : ألم أُوتِكَ مالًا ؟ فَلَيَقُولَنَّ : بلى . ثم ليقولَنَّ : ألم أُرْسِلْ إليكَ رسولًا ؟ فليقولَنَّ : بلى . فينظُرُ عن يمينِهِ فلا يَرَى إلا النارَ ، ثم ينظُرُ عن شمالِهِ فلا يَرَى إلَّا النارَ ، فلْيَتَّقِيَنَّ أحدكمُ النارَ ولو بِشِقِّ تمرةٍ ، فإن لم يجد فبكلمةٍ طَيِّبَةٍ)[34].

معنى " فليتقين أحدكم النار ولو بشق تمرة " أي فليجعل بينه وبين النار حاجزاً من الصدقة، ولو أن يتصدق بنصف تمرة، فإن الصدقة تطفيء غضب الرب، " فإن لم يجد " ما يتصدق، "فبكلمة طيبة " أي فليرد رداً جميلاً يطيب به نفس السائل"[35].

في قوله: (شِقّ تمرةٍ) كناية عن صفة القِلة . وشق التمرة نصفها وهو على سبيل المبالغة في القِلَّة . فمن تصدق ولو بالقليل من ماله مخلصاً لله قد يكون ذلك سبباً في عتقه من النار . والكناية واضحة اللزوم وليس لها وسائط ، فهي من نوع الإشارة والإيماء.

4/ .. عن أبي عبد الرحمن المعافري ثم الحبلي قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ اللهَ سيُخَلِّصُ رجلًا من أمتي على رؤوسِ الخلائقِ يومَ القيامة فينشُرُ عليه تسعةً وتسعينَ سِجِلًّا ، كلُّ سِجِلٍّ مثلُ مدِّ البصرِ ثم يقولُ: أتُنكِرُ من هذا شيئًا ؟ أظلَمَكَ كَتَبَتي الحافظونَ ؟ يقولُ: لا يا ربِّ . فيقولُ : أفَلَكَ عُذرٌ ؟ فيقولُ : لا يا ربِّ ، فيقولُ : بلى إنَّ لكَ عندنا حسنةً وإنَّه لا ظلمَ عليكَ اليومَ ، فيُخرِجُ بِطاقةً فيها أشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه ، فيقولُ : احضُرْ وزنَكَ ، فيقولُ : يا ربِّ ما هذهِ البِطاقةُ معَ هذه السِّجِلَّاتِ ؟ فقال فإنك لا تُظلَمُ . قال :فتوضعُ السِّجِلَّاتُ في كِفَّةٍ والبطاقةُ في كِفَّةٍ فطاشتِ السِّجِلَّاتُ وثقُلتِ البِطاقةُ ، ولا يَثقُلُ معَ اسمِ اللهِ شيءٌ)[36].

---

([33]) د. موسى شاهين لاشين (2002م)، فتح المنعم شرح صحيح مسلم ، مج8، ط1،دار الشروق ، القاهرة ، ،ص385 .

([34]) صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب الصدقة قبل الرد ، حديث رقم 1413، مرجع سابق ، ص275

([35]) حمزة محمد قاسم (1990م) ، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، راجعه :الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ،عني بتصحيحه ونشره :بشير محمد عيون،ج3، د.ط،مكتبة دار البيان، دمشق – الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف – المملكة العربية السعودية ، ص15

([36]) الترمزي ، محمد بن عيسى بن سَوْرَة (د.ت) ، سُنن الترمزي ، حكم على أحاديثه وآثاره وعلَّق عليه العلامة المحدِّث: محمد ناصر الدين الألباني ،اعتنى به : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، كتاب الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله ، حديث رقم (2639)،ص595. ( حديث حسن غريب ).

قوله:( إن الله سيُخَلِّصُ)أي: يميز ويختار . فينشر له:أي فيفتح له( تسعة وتسعين سجلاً)والسجل : الكتاب الكبير . (كل سجل مثل مد البصر) أي: كل كتاب منها طوله وعرضه مقدار ما يمتد إليه بصر الإنسان. فتخرج له (بطاقة) قيل في القاموس : البطاقة ككتابة الرقعة الصغيرة المنوطة بالثوب التي فيها رقم ثمنه سميت لأنها تشد بطاقة من هدب الثوب.( فيها) أي: مكتوب في البطاقة(أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله).وقوله (احضر وزنك) أي: الوزن الذي لك أو وزن عملك ... ، وهو الميزان ليظهر لك انتفاء الظلم وظهور العدل وتحقق الفضل. وقوله: (فطاشت السجلات)أي خفت ( وثقلت البطاقة) أي: رجحت والتعبير بالمضي لتحقق وقوعه. وقوله:(ولا يثقل)أي ولا يرجح ولا يغلب ، (مع اسم الله شيء):والمعنى لا يقاومه شيء من المعاصي بل يترجح ذكر الله تعالى على جميع المعاصي[37].

هذا الحديث يصور مشهداً رهيباً من مشاهد يوم القيامة، يوم الحساب ، حيث توزن الأعمال بالميزان، ويتضمن المشهد جانباً حوارياً شيِّقاً بين الله سبحانه وتعالى وبين عباده ، تتجلى فيه عدالة الله سبحانه وتعالى التي لا تضاهيها عدالة، فكل شيء عنده بمقدار وميزان، قال تعالى:﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[38].ويفهم من الحديث أن كلمة التوحيد هي الكلمة المنجية التي تثقل وترجح كفة الميزان .

شاهد الكناية في قوله:(كلُّ سِجِلٍّ مثلُ مدِّ البصرِ): ففي كلمة (مدِّ البصرِ) كناية عن صفة وهي الطول (أي طول السجل)، وهو من الكنايات الواضحة اللزوم وليس بها وسائط ، وفيها إشارة وإيماء، هذا فضلاً عما اشتملت عليه عبارة " كلُّ سِجِلٍّ مثلُ مدِّ البصرِ" من تشبيه رائع زاد المعنى وضوحاً وكساهأُبّهةً وجمالاً ، حيث شبَّه طول السجل بمدِّ البصر، ووجه الشبه بينهما هو "الطول".

5/حدثنا أنس بن مالك رضي عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ( قال الله تبارك وتعالى يا ابن آدمَ إنّكَ ما دعوتَني ورجَوْتَني غفرتُ لك َعلى ما كانَ فيكَ ولا أُبَالِي يا ابن آدمَ لو بلغَتْ ذنوبكَ عَنَانَ السماءِ ثم استغفرتَني غفرتُ لكَ ولا أبالي يا ابن آدمَ إنك لو أَتَيتَني بقُرَابِ الأرضِ خطايا ثم لقيتَني لا تُشْرِكُ بي شيئا لأَتَيتُكَ بقُرَابِها مغفرةً )[39].

قوله: (إنّكَ ما دعوتَني ورجَوْتَني) ما مصدرية ظرفية؛أي ما دمت تدعوني وترجوني يعني في مدة دعائك ورجائك .( غفرتُ لك َعلى ما كانَ فيكَ): أي من المعاصي وإن تكررت وكثرت . (ولا أُبالِي): أي لا أتعظم مغفرتك عليّ وإن كان ذنباً كبيراً أوكثيراً. ومعنى (عَنَانَ السماءِ) أي سحابها ، وقيل ما علا منها أي ظهر لك منها إذا رفعت رأسك إلى السماء . ومعنى قُراب الأرض: أي ما يقارب ملئها خطايا [40]

وفي الحديث الحث على الدعاء ، فهو من العبادة ، بل هو مخ العبادة، ولكن لا بد من استكمال شرائطه من

---

([37]) المبار كفوري ، أبو العلى محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم (د.ت) ،تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمزي، أشرف على مراجعة أصوله وتصحيحه : عبد الوهاب عبد اللطيف– عبد الرحمن محمد عثمان ،ج7، د.ط ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ص395–397

([38]) سورة الكهف ، الآية (49).

([39]) سُنن التِرمزِي ،كتاب الدعوات، باب فضل التوبة والاستغفار...، حديث رقم 3540، مرجع سابق،ص804. ( غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ).

([40]) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمزي، ج9، مرجع سابق، ص525

حضور القلب ، ورجاء الإجابة من الله تعالى ، وفي الحديث أيضاً أن باب التوبة والمغفرة مفتوح مهما تعاظمت المعاصي، فإذا استغفر الإنسان ربه منها غفرها الله له.

توجد كنايتان في الحديث، هما: (عَنَان السماء) و (قُرَاب الأرضِ) ، كناية عن صفة (الكثرة)، والكنايتان واضحتان ولا وسائط لهما فهما من نوع الإيماء والإشارة . والغرض منهما المبالغة في الكثرة .

7/عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم كان يومًا يُحَدِّثُ، وعِندَه رجلٌ من أهل البادية: (أن رجلًا مِن أهلِ الجنَّةِ استأْذَنَ ربَهُ في الزَّرْعِ، فقال له: ألستَ فيما شِئتَ ؟ قال : بلى، ولكني أُحِبُّ أنْ أزْرَعَ، قال: فبَذَرَ، فبادَرَ الطَّرْفَ نباتُهُ واستِوَاؤُهُ واستِحْصادُهُ، فكانَ أمْثَالَ الجِبالِ، فيقول الله : دونكَ يا ابنَ آدمَ، فإنه لا ي يُشْبِعُكَ شيءٌ) . فقال الأعرابيُّ : والله لا تجِدُهُ إلا قرشيًا أو أنصاريًا، فإنهم أصحابُ زرعٍ، وأما نحنُ فلسنا بأصحابِ زرعٍ، فضحِكَ النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم[41].

قوله : (الطرف)بفتح الطاء وسكون الراء امتداد لحظ الإنسان إلى أقصى ما يراه ، ويطلق أيضا على حركة جفن العين وكأنه المراد هنا. يقول: إنه لما بذر [أي زرع البذور داخل الأرض] لم يكن بين ذلك وبين استواء الزرع ونجاز أمره كله من القلع والحصد والتذرية والجمع والتكويم إلا قدر لمحة البصر.وفي هذا الحديث من الفوائد أن كل ما اشتهي في الجنة من أمور الدنيا ممكن فيها .وفيه وصف الناس بغالب عاداتهم . وفيه إشارة إلى فضل القناعة وذم الشر، وفيه الإخبار عن الأمر المحقق الآتي بلفظ الماضي[42].

وفيه إشارة أيضاً إلى عظم قدرة الله سبحانه وتعالى الذي لا يعجزه شيء، وإذا أراد شيئاً يقول له كن فيكون .

في قوله: (فبادَرَ الطَّرْفَ) كناية عن صفة، وهي(السرعة)، أي سرعة إنبات النبات ونموّه وحصاده في لمح البصر. وبما أن الكناية هنا واضحة، وليس بها وسائط فهي من نوع الإشارة أو الإيماء .

**وهناك كنايات كثيرة وردت في الأحاديث القدسية تُبْرِز الجانب النفسي للإنسان ،مثل الفرح والحزن والكآبة . من أمثلتها :**

1/ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :(يلقى إبراهيمُ أباه آزرَ يومَالقيامةِ ، وعلى وجه آزرَ قتَرةٌ وغبَرةٌ ، فيقول له إبراهيمُ : ألم أقُلْ لك لا تعصِني ، فيقول أبوه : فاليومَ لا أعصيك ، فيقول إبراهيمُ : يا ربِّ إنك وعدتَني أن لا تُخزيَني يومَ يُبعثون، فأيُّ خزيٍ أخزى من أبي الأبعدُ ؟ فيقول اللهُتعالى: إني حرَّمتُ الجنةَ على الكافرين، ثم يقال : يا إبراهيمُ، ما تحت رجلَيك ؟ فينظر، فإذا هو بذِيخٍ مُتلطِّخٍ، فيؤخذُ بقوائمِه فيُلقَى في النَّارِ)[43].قوله :( وعلى وجه آزر قترة وغبرة ) هذا موافق لظاهر القرآن (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ)[44]: أي يغشاها قترة، فالذي يظهر أن الغبرة الغبار من التراب، والقترة السواد الكائن عن الكآبة.

قوله: ( فيقول إبراهيم يا رب إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد) وصف نفسه بالأبعد على طريق الفرض إذا لم تقبل شفاعته في أبيه ، وقيل : الأبعد صفة أبيه أي أنه شديد البعد من رحمة الله لأن الفاسق بعيد منها فالكافر أبعد ، وقيل : الأبعد بمعنى البعيد والمراد الهالك.

---

([41]) صحيح البخاري، كِتَاب المزراعة ،حديث رقم 2348، مرجع سابق، ص441. (حديث صحيح).

([42]) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، مـج6،مرجـع سـابق، ص150 .

([43]) صحيح البخاري، كِتَاب أحاديث الأنبياء ،بَاب قول الله تعـالى (واتخذ اللهُ ابراهيمَ خليلاً) ،حـديث رقـم 3350، مرجـع سـابق، ص640 (حديث صحيح)

([44]) سورة عبس ، الآيتان (40-41)

قوله: (ثم يقال يا إبراهيم ما تحت رجليك ؟ فينظر فإذا هو بذيخ متلطخ ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار) .فإذا رآه كذا تبرأ منه . والذيخ ذكر الضباع ، وقيل لا يقال له ذيخ إلا إذا كان كثير الشعر. وقوله " : متلطخ " قال بعض الشراح : أي في رجيع أو دم أو طين .. قيل : الحكمة في مسخه لتنفر نفس إبراهيم منه ولئلا يبقى في النار على صورته فيكون فيه غضاضة على إبراهيم.

في قوله: (وعلى وجه آزرَ قتَرةٌ وغبَرةٌ) كناية عن الكآبة، لما وجده من المصير السيء الذي ينتظره عند الله تعالى نتيجة كفره وضلاله ، فالكناية هنا عن صفة، وهي واضحة اللزوم – حسب اعتقاد الباحث– لأن الوجه دائماً مرآة صاحبه ، يعكس ما بداخله من فرح أو كره، كما أن الكناية هنا ليس لها وسائط ، فبها إشارة وإيماء.

2/ حدثنا موسى بن إبراهيم بن كثير الأنصاري قال سمعت طلحة بن خراش قال سمعت جابر بن عبد الله يقول: (لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي: يا جابرُ ما لي أراكَ منكسِرًا ؟ قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ استُشْهِدَ أبي، وتركَ عيالًا ودَينًا ، قالَ : قال ألا أبشِّرُكَ بما لقيَ اللَّهُ بِهِ أباكَ ؟ قالَ : بلَى يا رسولَ اللَّهِ . قالَ : ما كلَّمَ اللَّهُ أحدًا قطُّ إلَّا من وراءِ حجابِهِ ، وأحيى أباكَ فَكَلَّمَهُ كِفاحًا. فقالَ : تمنَّ عليَّ أعطيكَ قالَ : يا ربِّ تُحييني فأُقتَلَ فيكَ ثانيةً . قالَ الرَّبُّ تبارك وتعالى: إنَّهُ قد سَبَقَ منِّي أنَّهم لا يُرجَعونَ قالَ: وأُنْزِلَت هذِهِ الآيةُ : وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا الآيةُ)[45].

قوله: (كِفاحاً) : أي مواجهة ليس بينهما حِجاب ولا رسول.

قوله( تُحييني) : من الإحياء، أي أحييني مرة ثانية. (قالَ الرَّبُّ تبارك وتعالى: إنَّهُ قد سَبَقَ منِّي أنَّهم لا يُرجَعونَ)[46].

(الانكسار) هنا كناية عن صفة الحزن والهم، فالصحابي الجليل حزن على موت أبيه واعتلاه الهم من الديون التي تركها له ومسئولية إخوته الصغار.وهي كناية واضحة اللزوم وليس لها وسائط، فهي من نوع الإشارة والإيماء.

وفي الحديث تطييب لخاطر الصحابي الجليل من الابتلاء الذي نزل به . وكان النبي صلى الله عليه وسلم دائما ما يهتم بتطييب خواطر أهل الابتلاءات وأصحاب الهموم .

وفي الحديث شرف كبير وحظوة لوالد الصحابي الجليل أن كلمه الله سبحانه وتعالى دون حجاب، وبشرى بالثواب العظيم الذي ينتظره في الآخرة حتى أنه تمنى أن ترد له روحه فيقتل في الله مرة أخرى .

كما جاء التعبير عن الموت في كنايات الأحاديث القدسية بعدة ألفاظ منها " القبض"، "خروج الروح"، "لقاء الله". واشتمل بعضها على معاني المواساة والتطبيب لمن ابتلي بمصيبة الموت أو بغيرها من مصائب الدنيا . مثال ذلك:1/عن أبي موسى الأشعري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ( إذا مات ولدُ العبدِ قال الله لملائكته : قبضتُم ولدَ عبدي ؟ فيقولون : نعم . فيقول : قبضتم ثمرةَ فؤاده فيقولون: نعم . فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول اللهُ : ابنوا لعبدي بيتًا في الجنةِ وسموه : بيتَ الحمدِ)[47].

قوله :(قال الله لملائكته) أي: ملك الموت وأعوانه، (قبضتم) على تقدير الاستفهام (ولد عبدي) أي: روحه. فيقول (قبضتم ثمرة فؤاده) .. قيل سمى الولد ثمرة فؤاده؛

---

([45]) سُنن الترمزي ، كتاب تفسير القرآن ،باب ومن سورة آل عمران ، حديث رقم 3010،مرجع سابق، ص673.( حسن غريب من هذا الوجه ).

([46]) تحفة الأحوذي ، أبواب تفسير القرآن ، ج8،مرجع سابق، ص361 .

([47]) سُنن الترمزي ، باب فضل المُصيبة إذا احتَسَبَ، حديث رقم 1021، مرجع سابق ،ص242.(حديث حسن غريب).

لأنه نتيجة الأب كالثمرة للشجرة (واسترجع) أي : قال : إنا لله وإنا إليه راجعون. (ابنوا لعبدي بيتًا في الجنةِ وسموه: بيتَ الحمدِ)أضاف البيت إلى الحمد الذي قاله عند المصيبة ؛ لأنه جزاء ذلك الحمد[48].

**توجد كنايتان في الحديث :**

**الأولى:** في (قبضتُم ولدَ عبدي): القبض كناية عن الموت. وهو موصوف .

**الثانية:** في قوله : (ثمرةَ الفؤاد) ، كناية عن الولد، فكما أن للشجرة نتاج هي ثمارها وهي أفضل ما فيها وأنفع، كذلك الولد ثمرة الأب ونتاجه وبه ينتفع لو رباه على الخير والصلاح. ولشدة شغف قلب الوالد بالولد وتعلقه به صاركأنه ثمرته، بل ثمرة فؤاده الذي هو أيضاً خلاصة أعضائه وأهمها . وهو أيضاً كناية عن موصوف.

2/ عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يقولُ اللهُ تعالَى : (ما لعبدي المؤمنِ عندي جزاءٌ ، إذا قبضتُ صفِيَّه من أهلِ الدُّنيا ثمَّ احتسبه، إلَّا الجنَّةَ)[49].قوله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء: أي ثواب . ومعنى إذا قبضت صَفِيَّه: الصفي وهو الحبيب المصافي كالولد والأخ وكل من يحبه الإنسان. والمراد بالقبض: قبض روحه وهو الموت . والمراد بـــاحتسبه : أي صبر على فقده راجياً الأجر من الله على ذلك[50] .الكناية في قوله (قبضت) ، والقبض كناية عن الموت، وهو موصوف.وفي هذا الحديث القدسي دليل على فضيلة الصبر على موت الشخص العزيز أو القريب، وأن الله عز وجل يُجازي الإنسان إذا صبر على ذلك واحتسب الجزاء العظيم وهو الجنة . ولا شك أن لفظ الموت لفظ تنفر منه النفوس وتقشعر، فعبر عنه في الحديثين السابقين بلفظ القبض تحسيناً وتجميلاً له.

3/ عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إنَّ اللَّهَ قالَ :إذا ابتليتُ عبدي بحبيبتَيهِ فصبرَ،عوَّضتُه منهُما الجنَّةَ . يريدُ : عينيهِ)[51].

يقصد بقوله (حبيبتيه) عينيه؛ لأنهما أحب أعضاء الإنسان إليه ، لما يحصل له بفقدهما من الأسف على فوات رؤية ما يريد رؤيته من خير فيسر به ، أو شر فيجتنبه. فإذا صبر على هذا المصاب مستحضراً ما وعد الله به الصابر من الثواب ، عوضه الله منهما الجنة، وهذا أعظم العوض، لأن الالتذاذ بالبصر يفنى بفناء الدنيا والالتذاذ بالجنة باق ببقائها ، وهو شامل لكل من وقع له ذلك بالشرط المذكور [ وهو الصبر][52].

الكناية في قوله عز وجل :( حبيبتيه) كناية عن العينين؛ لأنهما أحب أعضاء الإنسان إليه وأكثرها فائدة. فالكناية هنا جاءت عن موصوف وهو (العينان). وهناك كنايات جاءت في سياق الأحاديث التي اشتملت على توجيه رباني يبيِّن محبة الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين وما يخبأه لهم من أجر وثواب جزاء امتثالهم لأوامره واجتناب معاصيه ليرتقي بهم لمقامات إيمانية رفيعة ، منها :

---

([48]) تحفة الأحوذي ، باب فضل المصيبة إذا احتسب، ج4،مرجع سابق، ص101 .

([49]) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب العمل الذي يُبتغى بـــه وجه الله ، حديث رقم 6424 مرجع ســـابق، ، ص1234.(حـــديث صحيح)

([50]) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، مج14،مرجـــع ســـابق، ص511.

([51]) صحيح البخاري ، كتاب المرضى ، باب فضـــل مـــن ذهـــب بصره، حديث رقم 5653 ، مرجـــع ســـابق، ص1110.(حـــديث صحيح)

([52]) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (بتصرف) ، مج13،مرجع سابق، ص26 ، 27 .

1/عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (قال الله تبارك وتعالى: أعدَدْتُ لعبادي الصَّالحينَ ما لا عينٌ رأَتْ، ولا أذُنٌ سَمِعَت، ولا خطَرَ على قلبِ بَشَر..)[53].

( قال الله أعددت) : من الإعداد ، أي هيأت . ( ما لا عينٌ رأَتْ ) كلمة "ما" إما موصولة أو موصوفة، "وعين" وقعت في سياق النفي فأفاد الاستغراق و(لا خطَرَ على قلبِ بَشَر) أي : وقع[54].تُعبِّر الكناية في نَصِّ الحديث عن موصوف ، ألا وهو "نعيم الجنة"، فنعيم الجنة شيء عجيب، يفوق كل الوصف، فلا أحد يستطيع تصوُّره، ففيه من الروعة ما لا تراه العيون وتسمع به الآذان ، وما لا يخطر على قلب بشر، فهو نوع خاص من النعيم، وكل هذا النعيم الدائم المُقيم الذي يفوق الخيال، إنما خصَّ الله سبحانه وتعالى به عباده "الصالحين"، جزاءً بما كانوا يعملون. وهذا إغراءٌ شديد، وشحذٌ للهمم بسلوك طريق التُقى والرشاد للوصول إلى هذه الغاية . إذن الكناية في قوله : "ما لا عينٌ رأت"، "ولا أُذُنٌ سَمِعَت"، "ولا خطَرَ على قلبِ بَشرٍ"، كناية عن موصوف وهو (نعيم الجنة) .

2/ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إنَّ اللهَ يقولُ يا ابنَ آدمَ :تَفَرَّغْ لعبادَتِي أملأْ صدركَ غِنًى وأسُدُّ فقرَكَ ، وإنْ لَّا تفعلْ ملأْتُ يديْكَ شُغْلًا ، ولم أسُدَّ فقْرَكَ)[55].

قوله : (إنَّ اللهَ يقولُ يا ابنَ آدمَتَفَرَّغْ لعبادَتِي): أي تفرَّغ عن مهامتك لطاعتي ، (أملأْ صدركَ) أي قلبك، (غِنًى) والغنى هو غنى القلب ، (وأسُدُّ فقرَكَ) أي تفرغ عن مهامتك لعبادتي أقضي مهامتك وأغنيك عن خلقي، (وإنْ لَّا تفعلْ ملأْتُ يديْكَ شُغْلًا ، ولم أسُدَّ فقْرَكَ)، أي وإن لم تتفرغ لذلك واشتغلت بغيري لم أسد فقرك لأن الخلق فقراء على الإطلاق فتزيد فقراً على فقرك)[56].

(تَفَرَّغْ لعبادَتِي) : كناية عن طاعة الله وعدم الانشغال عن عبادته سبحانه وتعالى بأي أمر آخر.

(أملأْ صدركَ غِنًى): (الغنى ) كناية عن القناعة بالمقسوم من الرزق.

(وأسُدُّ فقرَكَ) : كناية عن استغنائه عن الناس فلا يحتاج إلى أحد .

(ملأْتُ يديْكَ شُغْلًا):كناية عن اشتغاله من غير منفعة فيكون همه الدنيا لا يستطيع لحاقها.الكنايات المذكورة في الحديث كنايات عن صفة ، وإذا تتبعنا كل كناية منها نجد لها وسائط متعددة، لذلك بها تلويح.

3/ عن أبي سلمة قال اشتكى أبو الردَّاد الليثي فعاده عبد الرحمن بن عوف، فقال خَيرُهُم وأوْصَلُهُم ما عَلِمْتُ أبا محمدٍ ، فقال عبد الرحمن : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :( قال اللهُ تبارَك وتعالَى: أنا اللهُ وأنا الرَّحمنُ، خلَقتُ الرَّحمَ، وشققتُ لها مِن اسمي، فمَن وصلَها وصلتُه، ومَن قطعَها بتَتُّهُ)[57].

قوله تعالى: (أنا الرحمن): أي المُتَّصِف بهذه الصفة . (خلقت الرحم): قدَّرتها أو صوَّرتها مجسَّدة. (وشققت): أي أخرجت وأخذت اسماً (من اسمي): أي الرحمن، وفيه إيماء ، إلا أن المناسبة الاسمية واجبة الرعاية في الجملة، وإن كان المعنى على أنها أثر من آثار رحمة الرحمن ويتعيَّنعلى المؤمن التخلُّق بأخلاق الله تعالى

(53) صحيح البخاري،كتاب التفسير،باب(فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ)،حديث رقم 4779 ،مرجع سابق،ص932.(حديث صحيح)

(54) تحفة الأحوذي ،أبواب تفسير القرآن،حديث رقم 3249، ج9،مرجع سابق، ص56.

(55) سُنن التِرمزِي ،كتاب الزهد ، حديث رقم 2466،مرجع سابق،ص556.(حديث حسن غريب).

(56) تحفة الأحوذي ،أبواب صفة القيامة، ج4،مرجع سابق، ص101 .

(57) سُنن التِرمزِي ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في قطيعة الرحم، حديث رقم 1907، مرجع سابق،ص436. (حديث صحيح).

والتعلّق باسمائه وصفاته ، ولذا قال من (فمن وصلها وصلته) أي إلى رحمتي أو محل كرامتي ، و(من قطعها بتته) أي قطعته من رحمتي الخاصة . من البت: وهو القطع[58].

والرَّحِمُ والرِّحْمُ : بيت مَنْبِتِ الولد ووعاؤه في البطن . والرَّحِمُ: القَرابة تَجمَع بَني أَب. وبينهما رَحِمٌ أَي: قرابة قريبة[59].

ووصل الرحم كناية عن صفة الإحسان إلى الأقربين ومواصلتهم بزيارتهم وتفقد أحوالهم ، وهي من الكنايات الواضحة المعنى وليس بها وسائط ، وفيها إيماء وإشارة.

## الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين. أما بعد: فقد انتهيت بعون الله وتوفيقه من إكمال هذه الدراسة. ورأيت أن أورد في خاتمتها أبرز **النتائج** التي توصلت إليها، وهي كما يلي:

1- الكناية أبلغ من التصريح ؛ فهي تعطي الدعوى ودليلها، والقضية وبرهانها، مما يجعلها أكثر إقناعاً من الكلام العادي . ويستطيع الأديب المتمكن أن يحقق من خلالها العديد من المقاصد والأهداف البلاغية.

2- تعطي الكناية ظلالاً لطيفة للمعنى وتظهره في صورة حسية ملموسة مع الإيجاز في العبارة.

3- تكثر في الأحاديث القدسية الكنايات الدالة على الأوزان والمقادير والمسافات وغير ذلك ، خاصة فيما يتعلّق بمقدار أو نسبة الإيمان عند المسلم ، وكان التعبير عن ذلك بأشياء حسية ومادية معروفة لدى الناس ، ومشاهدة في حياتهم اليومية ، والغرض منها تقريب المعنى وتوضيحه .

**التوصيات** :

1- إفراد الأحاديث القدسية بفضل الدراسة وإنعام النظر وإبراز ما اشتملت عليه من محاسن البيان النبوي .

2- الغوص في معاني الكناية في الأحاديث القدسية ومعرفة ما تخفيه تحت ظلالها من لطائف بلاغية وأسرار بيانية.

## المصادر والمراجع:


- **القرآن الكريم**

1. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (2009م)، لسان العرب( مادة كني)، مج 15، ط2، دار الكتب العلمية ، بيروت.
2. د.فضل حسن عباس (2005م)، البلاغة فنونها وأفنانها (علم البيان والبديع) ، ط10، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن.
3. د.عيسى العاكوب (2000م ) المفَصَّل في عُلوم البلاغة العربية (المعاني –البيان– البديع) ، د.ط،، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، حلب.
4. الزُّبَيْدي، عَمْرو بن مَعْدي كربَ (1985)، ديوان شعر ، جمعه ونسقه: مطاع الطرابيشي ، ط2، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .
5. حامد عوني (د.ت) ،المنهاج الواضح للبلاغة ،د.ط، المكتبة الأزهرية للتراث.
6. أبي الفرج الأصفهاني،(1422هـ–2002م) الأغاني، شرحه وكتب هوامشه: سمير جابر، وعبد الله علي مهنا، ط4، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ، بيروت.
7. الزركلي، خير الدين (2002م) الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين


(58) تحفة الأحوذي ، باب ما جاء في قطيعة الرَّحِم، ج6،مرجع سابق، ص33، 34 .

59 لسان العرب ، مادة (رحم) ،مج12،مرجع سابق ،ص270، 271

والمستشرقين، ج5، ط15، دار العلم للملايين ، بيروت- لبنان.

8. الشنفرى (1996م) ، ديوان ، جمعه وحققه وشرحه: د.اميل بديع يعقوب، ط2،دار الكتاب العربي، بيروت.
9. القَزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر(2003م)، الإيضاح في عُلُوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، وضع حواشيه:إبراهيم شمس الدين، ط1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
10. البخاري ، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل (1998م) ، صحيح البخاري ، اعتنى به : أبو صهيب الكرمي، د.ط ، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع ، الرياض.
11. البحتري (2005م) ، ديوان ، شرحه وعلّق عليه د.محمد التونجي ، ج2، د.ط، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان.
12. السكاكي،أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي (1987م) ، مفتاح العلوم،ضبطه وكتب هوامشه وعلّق عليه: نعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
13. الهاشمي، السيد أحمد (د.ت)، جواهر البلاغة، ضبط وتدقيق وتوثيق :د. يوسف الصميلي ، د.ط،، المكتبة العصرية ، بيروت.
14. البغدادي، عبد القادر بن عمر (1997م)، خزانة الأدب ولبّ لُباب لسان العرب، تحقيق وشرح :عبد السلام محمد هارون، ط4، مكتبة الخانجي بالقاهرة.
15. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (1982م) ، كتاب العين ، تحقيق :د. مهدي مخزومي - ود.إبراهيم السامرائي ، د.ط، دار الرشيد للنشر ، العراق .
16. الكفَوي ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحُسيني (1998م)، الكليات ( معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، أعده للطبع ووضع فهارسه:د.عدنان درويش - ومحمد المصري، ط2، مؤسسة الرسالة ، بيروت-لبنان.
17. مناع القطان (د.ت) ، مباحث في علوم القرآن ، ط6 ، مكتبة وهبة ، القاهرة.
18. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر(2005م) ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، وعليه تعليقات مهمة للعلامة الشيخ : عبد الرحمن بن ناصر البرّاك ، اعتنى به : أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي ،مج1، ط1، دار طيبة، الرياض.
19. د. موسى شاهين لاشين (2002م) ، فتح المنعم شرح صحيح مسلم ، مج8 ، ط1، دار الشروق ، القاهرة.
20. حمزة محمد قاسم (1990م) ، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، راجعه :الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، عني بتصحيحه ونشره :بشير محمد عيون، ج3، د.ط،مكتبة دار البيان، دمشق - الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف - المملكة العربية السعودية.
21. التِرمذي ، محمد بن عيسى بن سَوْرَة (د.ت) ، سُنن التِرمزِي ، حكم على أحاديثه وآثاره وعلَّق عليه العلامة المحدِّث: محمد ناصر الدين الألباني ،اعتنى به : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض.
22. المبار كفوري، أبو العلى محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم (د.ت) ، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمزي، أشرف على مراجعة أصوله وتصحيحه : عبد الوهاب عبد اللطيف- عبد الرحمن محمد عثمان،ج7، د.ط ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .